السراج المفقود

للأستاذ أمجد الطرابلسي

لا! دعونى وسطَ الجموعِ وحيداً   أشعلُ القلب كى أنيرَ سبيلى
عجباً أيها الورى! ما الذى تبـ   ـصر فى حالكِ الدّجى المسدول؟
أترانى ولدتُ أعمى؟ أم الكو   ن ظلام؟ أم كلّ حىّ مثيلى؟
أم همُ الناس واهمون سكارى   يتغنون بالسّراب الجميل؟
رقصوا فى فم الجحيم وغنّوا   فوقَ أشلائهم وبين الطلول!
خابت العين! ليس يُبصرُ إلا الـ   ـقلبُ، يانعمةَ الخلىّ الجهول!
يا هناء الصخور فى هذه الدنيـ   ـا ويا شقوة الشعورِ النبيل!
ياضلال العقول فى الحانة السّكـ   ـرى ونعمى المعربد الضّليل!

* * *

أين منى قلبى يُنيرُ سبيلى؟   أترى ذابَ قبل ليلى الطّويل؟
أم ترى أطفأتهُ عاديةُ الرّ   يح جنوناً وزمجراتُ السّيول؟
ورمَتهُ كفى فأهوى به السّيـ   ـلُ غضوباً إلى أقاصى السّهول
واخبالى! أما سمعتُ سراجى   يتشظّى؟ وما أشدَّ ذهولى!
مزّجَتْ شِرّةُ السيولِ بقايا   هُ مع الشوكِ والحصى والوحول
تلكَ أشلاؤه تَشعُّ على البعـ   ـدِ وراء الربى وخلفَ الحقول

* * *

ياسراجى المفقودَ فى ثورةِ اللّيـ   ـلِ شهيداً، يا مشعلى ودليلى!
يا سنا مقلتىّ فى الظّلَمِ السو   دِ ويا نورَ غمّىَ المملول!
كنت لحنى فمن يمزق صمتى؟   ومدامى فمن يبل غليلى؟
وأنيسى فمنْ تركتَ لأنسى؟   وخليلى فمنْ يكون خليلى؟
يا سراجى كلّت ذراعى فألقتـ   ـكَ بلا رحمةٍ ودونَ عويل
فرحتْ مثلما تسرّ بتركِ الـ   ـغُلّ كفُّ المصفّدِ المغلول
حسبت فى نوالك راحتَها الكبر   ى ضلالاً، واخيبةَ المأمول!
ياسراجى! لما صرخت هشيماً   وتبددْتَ كالدم المطلولِ
قد تصاممتُ عن أنينك، لا بل   كانَ عندى كأنّةِ الا رغول!!
نصبٌ آذنى نخففتُ حملى   بعد يأسى من حملى المقتول
ما ترى الفلكَ فى العواصفِ تلقى   بخفيفٍ من حملِها وثقيلٍ..؟

* * *

أيهذا السارى المروّعُ! مهلاً   وعزاءً عن كلّ قصد وسولِ
ما ترجى وهذه الدّجية النكرا   ءُ غشّتْ بوارقَ التأميلِ؟
الدّجى راعبٌ تفحّ به الأشبـ   ـاحُ ظمأى إلى النّجيعِ العليل
موحش ليسَ فيه غير صدى الوبـ   ـلِ، وهزجِ الأمواهِ وسطَ المسيل
وأعاصيرهُ تلاعب خدّيـ   ـكَ بسيفٍ من بردها مصقولِ
والذئابُ الجياعُ ضجّت عواءً   فى بطونِ الهُوى وفوقَ التلول
تتحرى فريسةً من جريحٍ   أو طريد أو شاردٍ أو قتيل
أيهذا المسكين! أىّ الأمانى   تقرى؟ هُديتَ من مخبول!
شعّثت رأسكَ الرّياح السوافى   وتعثّرتَ فى الكثيب المهيلِ
لا تمدّن إلى جبينكَ كفّاً   ضُرّجتْ بالدم الزكىّ الطليلِ!
ضرّجتْها الأشواكُ من طولِ ما تكـ   ـبو عياءً كالموثقِ المكبول
أترجّى خلفَ الدّياجى شعاعا   من صباحٍ مزوّقٍ أو أصيل؟
ما وراء الظلام إلا ظلام   ليس فيه من ملجأ أو مَقيل!
كلُّ وادٍ وراءه ألف واد!   كل ميلٍ وراءه ألف ميل!
خابَ من سار لاصطيادِ الأمانى   فى عمايات مَهْمَةٍ مجهول
من يسر دونَ غايةٍ كيف يحظى   بعد طول السّرى بنعمى الوصول؟

* * *

ارجعِ القهقرى فلن يطلعَ الفجـ   ـرُ ولنْ تستقرّ بعدَ الرحيل
وتلمّسْ بينَ الصخورِ رماماً   من سراجٍ محطّمٍ مشلولِ
وأعدْ سبكها سراجاً منيراً   لدجاك المعبّس المسدول
لا تقل إنه يهدُّ ذراعىّ   م ويدنى نضارتى للأفولِ
إنه فجرُكَ الذى تتمنّى   إنه نبعة الهوى والميولِ
إنه فرحة الحياة وبؤسا   ها وشهدُ المنى وسم الذحول
إنه هيكلُ الرّضى والتأسّى   إنه رفرفُ الجمالِ الخجولِ
انّه مهبطُ الرؤى والأمانى   والخيالاتِ والهوى المعسولِ

* * *

يا سراجى أنت العناء ولكن   فى تواريك مصرعى وأفولى

« دمشق »

أمجد الطرابلسي